المكتشفات الحديثة وهي عربية قديمة

(القى حضرة الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري محاضرة في نقابة المعلمين على جمع من اكابر المدرسين والعلماء موضوعها الفلسفة العربية وعلوم العرب وما كشفوهُ وعدهُ علماء الافرنج من مكتشفاتهم كرقاص الساعة ودوران الارض وقاموس الجاذبية فرأينا ان نورد منها ما ذكرهُ في القسم الاخير من محاضرتهِ اي ما قال ان العرب كشفوهُ وعدَّهُ علماء الفرنجة من مكتشفاتهم)

المسألة الاولى رقاص الساعة

يقولون ان المخترع لهُ غليليو Galileo المولود ببيزة Pisa سنة ١٥٦٤ المتوفى سنة ١٦٤٢ قال في قاموس لاروس ان غليليو حضر يوماً في كنيسة بيزة صلاة فقام فيها فاستوقف نظرهُ المصباح المعلق في قبة الكنيسة ورآهُ يهتز ببطء ولاحظ ان الهزات وهي تتناقص في الاتساع مرة بعد مرة حافظة دائمة لوقت واحد فكان ذلك سبباً في كشفهِ ناموس توازن هزات الرقاص . هذا هو الرأي السائد الآن في بلاد الشرق والغرب . وقد كذَّب هذا القول العلامة سيديو الفرنسي في كتابهِ تاريخ العرب صفحة ٢١٤ اذ أبان ان الحروب استمرت على الامة المحمدية أكثر من مائتي سنة وانطفأت مصابيح العلم تقريباً الاَّ من « مصر » فصارت مركزاً جديداً للاشتغال بالعلوم والفنون زمن الفاطميين. واشتهر ابو الحسن عباس ابن ابي سعيد عبد الرحمن بن احمد المشهور بابن يونس ابن عبد الاعلى بانهُ كان متصرفاً في سائر العلوم فاخترع رقاص الساعة الدقاقة ثم مات سنة ١٠٠٧ ميلادية. اقول فيكون غليليو مسبوقاً بهِ بستة قرون . وقال في صفحة ٢١٥ ولقد تعجب اهل طليطلة من الساعة الدقاقة وذلك في نحو نصف القرن الثاني عشر لميلادهِ فكأن اختراع ابن يونس لم يعرف في طليطلة الاَّ بعد مائة وخمسين سنة

هذه قضية رقاص الساعة حققناها ولم يبقَ لديكم شك ان قول بعض مؤلفي الانجليز والفرنسيس ان المخترع غليليو جاء الخبر بتكذيبهِ من علماء فرنسا وان مصر في زمن الفاطميين كانت دار اختراع فاذكروها للابناء لعلهم يعلمون

المسألة الثانية — دوران الارض

جاء في قاموس لاروس وفي سائر الدوائر العلمية ان الكاشف لذلك (كوبرنيكوس) واتبعهُ (غليليو) وانهما فتحا فتحاً جديداً للانسانية وحركا الارض بعد سكونها وايقظاها من سنة الغفلة بعد نومها. وها أنا ذا أسرد لكم تاريخ مسألة الارض باوجز عبارة فاقول: كان (فيثاغورس) يعلم تلاميذهُ في مدرسة (كروتونا) من بلاد ايطاليا على طريقة حركة الارض وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليهِ السلام بمدة خمسماية عام حتى جاء بطليموس قبل الميلاد بمائة واربعين سنة فاختار القول بسكون الارض وحركة الشمس ودورانها عليها فاشتهرت في البلاد واتبعهُ ابن سينا والفارابي وامثالهما من علماء الاسلام. في ذلك في كتاب العلامة المرحوم عبد الله باشا فكري الناقل عن كتاب اسرار الملك والملكوت وشرحه المرسوم بافكار الجبروت وهو باللغة التركية ومتنهُ بالعربية

ثم ظهر كوبرنيكوس الذي مهر في العلوم الرياضية من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ من الميلاد وهي سنة ٩٧٣ هجرية فرجع الى طريقة فيثاغورس فظهر ان فكرة دوران الارض حول الشمس هي القديمة وتسميتها جديدة خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة. والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الاسلامية وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن احمد المتوفى سنة ٧٥٦ من الهجرة في كتابهِ المسمى (بالمواقف) واورد على طريقة دوران الارض اعتراضات ثلاثة ثم كر على تلك الاعتراضات بالنقض والرد وجرى معهُ على ذلك شارحهُ السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ في شرحهِ وكان قراءةُ من تأليفهِ سنة ٨٠٧ فلبراجعهُ من اراده. واليكم ايها الاخوان بعض ما قالهُ المصنف في متنهِ مع شارحهِ صفحة ١٤٧ في المقصد الثالث قال الحركة اليومية (حركة الشمس) لا توجد انما تتخيل بسبب حركة الارض اذ يتبدل الوضع من الفلك دون اجزاء الارض فيظن ان الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك بل ليس ثمة فلك اطلس وذلك كراكب السفينة فانهُ يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منهُ وكذلك يرى القمر سائراً الى الغيم حيث يسير الغيم اليهِ وهذا كلهُ من غلط الحس. انتهى تلخيصاً

فها هوذا عضد الدين قبل كوبرنيكوس بنحو ١٨٠ سنة فيكون هذا كشفاً للاوربيين لانهم كانوا يقتلون كوبرنيكوس وغليليو الذي اتبعهُ لكفرهما في نظر علماء الدين كما هو معلوم اما عضد الدين وامثالهُ فكانت كتبهم تدرس في الشرق

المسألة الثالثة — مسألة الجاذبية

يزعم علماء الفرنجة ان الكاشف للجاذبية انما هو اسحق نيوتن الانجليزي وانهُ رأى ثمرة سقطت من الشجرة على الارض فاخذ يفكر في الجاذبية . وهذا البحث سبقهُ فيهِ علماؤنا بقرون . الا ترى ما جاء في شرح العلامة محمد بن عمر البرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هجرية على كتاب الاشارات لابن سينا صفحة ١١٧ قال « قال ثابت بن قرة ان المدرة تعود الى السفل لان بينها وبين كلية الارض مشابهة في كل الاعراض اعني البرودة والكثافة والشيء ينجذب الى اعظم منهُ . وثابت بن قرة كان في ايام المطيع العباسي المتوفى سنة ٣٦٣ هجرية وقال الشارح في صفحة ٢١٦ انا اذا رميتا المدرة الى فوق فانها ترجع لاسفل فعلمنا ان فيها قوة تقتضي الحصول في السفل حتى انا لما رميناها الى فوق اعادتها تلك القوة الى السفل

وقد اطال العلامة ابن سينا وشارحهُ في هذا الموضوع فظهر من هذا ان مسألة الجاذبية سبق بها علماء الشرق بقرون عدة فان ثابت بن قرة سبق اسحق نيوتن بنحو ٦ قرون والرازي سبقهُ بنحو ٣ قرون . ومن العجيب اني بعد ما سطرت هذا قابلني صديقي عبد الحميد بك فهمي فاراني كتاباً فرنسيًّا في تاريخ العرب ومغاربة اسبانيا فترجم لي منهُ ما لفظهُ صحيفة ١٧٥ جزء ثان لمؤلفهِ الشهير لويترفياردو

« اخذ العلامة كبلر الشهير معلوماتهِ عن انكسار الضوء في الجو بعد اطلاعهِ على ما ألفهُ ابو الحسن علي بن سهل المتوفى سنة ١٠٣٨ م بمدينة القاهرة وهو شهير بما الفهُ من الكتب في علم الضوء وما كتبهُ عن الشفق »

وربما كان اسحق نيوتن نفسهُ مديناً الى العرب بمعرفة المعلومات الاولية لنظام العالم اكثر مما يدين الى تفاحتهِ فنصرهُ (ولستروث) اذ يظهر ان محمد بن موسى المذكور في المكتبة العربية قسم الفلسفة عند ما كان يؤلف كتبهُ في حركة الاجرام السماوية وخواص الجذب كان اسبق منهُ الى ولوج هذا الباب فتكلم عن هذا القانون العظيم المستنبط منهُ

وقال في صفحة ٢٠٤ جزء ثان « ومن الغرابة بمكان عظيم ان نبحث في كثير من الاشياء المختلفة فنجد ان العرب فيها كانوا نموذجاً للفرنجة باوربا فمثلاً في ابتداء القرن الثامن للميلاد رأينا عقبة بن الحجاج ينشىء طائفة من الجند اعدها لقطع دابر المفسدين في الارض سماها بالكشافة

وهنا يرد عليَّ اعتراضات الاول لقائل ان يقول (١) انك قد خالفت ما اجمع عليهِ الناس (٢) انك تفخر بمجد الاباء ولا فخر لك (٣) انهُ تعصب ديني او جنسي (٤) انهُ لغو الحديث ولا معنى لهذا البيان (٥) ان الكشف الذي جاء حديثاً قد استوفى المباحث وما فيهِ لا عبرة بهِ لنقصهِ. وانا اجيب على هذه الاعتراضات

اما الجواب على الاول وهو اني خالفت الاجماع فاقول قال العلامة سيديو الفرنسي في كتابهِ صفحة ٢٣٢ وصفحة ١٣٣ ظهر التمدن العربي المتسع بهِ نطاق لسان العرب الذي ادخلهُ مترجمو الكتب اليونانية في الاصطلاحات فسهل انطباقها على المعلومات التي عزا الفرنج اختراع اكثر اكتشافاتهم الى علماء منهم كانوا بالقرن الخامس عشر والقرن السادس عشر مع ان اختراع اكثرها انما كان للعرب الذين اجتهدوا في تقدم العلوم. وذكر لذلك عشرة ادلة منها ان تلك الاكتشافات وجدت مكتوبة في كتب عربية بخط اليد التي ظفرنا بها . فاذا اثبت سيديو واخوانهُ من علماء الفرنجة انهم وجدوا اكثر الاكتشافات بخط اليد في كتب عربية فلا عجب اذا وجدت انا ثلاثة او اربعة ومئة وجدت غيرها ابرزتها الى اهل هذه البلاد المباركة الطيبة

الثاني وهو الفخر بمجد الآباء اقول لست افتخر بالقدماء وانا اريد الحقيقة ودفع الجهل

وجواب الثالث وهو انهُ تعصب : اني لست متعصباً دينيًّا ولا جنسيًّا فان ثابت بن قره كان مسيحيًّا ولكنهُ شرقي ولمَ لا تعطى القوس باريها ولمَ لا تنسب الحكمة الى اهلها

وجواب الرابع وهو انهُ لغو اقول ليس ذلك لغواً فان معرفة الحقائق هي العلم والعلم واجب ليس بلغو واما قول من قال — ان المتأخر استوفى ما تركهُ المتقدم فنسب اليهِ فهذا كلام الكسالى المخدوعين الذي لا يريدون ان يحققوا بدليل

ما قالهُ سيديو . وها نحن اولاء نرى الامم ترسل رجالها لكشف القطبين ويضعون راية في مكان الكشف ليثبتوا لهم السبق فلو ان امة سكنتهُ فيما بعد فرضاً لكان السابق هو الاولى بالفضل. وما لنا نذهب بعيداً ونحن نرى ان كريستوف كولمب كاشف امريكا لم تسمَّ البلاد باسمهِ فهلا جعل الاسم مركبا مزجيا كبعلبك ومعدي كرب ويختصر فيقال (كرتستوفة كولبه) لم يكن ذلك لانهُ كان ممن صحبهُ رجل يقال لهُ (امريكو) من عظماء فلورنسا من غير مشاورة كولمب وخطر لهُ ان يظهر انهُ اول كاشف لارض الدنيا الجديدة واشاع ذلك في ايطاليا وكتب رحلة ليحتال بها على اكتساب الشهرة وجعلها لطيفة مرغوباً فيها وحكى الوقائع على وجه يستميل القارىء فاشتهرت البلاد باسم هذا الرجل كما هو الغالب ان الغاش يفلح ظاهراً ولكن البلاد وان اشتهرت باسم صاحب الرحلة وهو (امريكو) لم يكن لهُ منها الاَّ اللفظ ويرجع العلماء تلك الشهرة الى الكاشف الحقيقي وهو كولمب والحق احق ان يتبع مع انهُ لم يعرف جميع اصقاعها وزاد غيرهُ اضعافاً مضاعفة في الكشف . فحجة القائلين ان المتوغل في الكشف احق باسم الاختراع حجة داحضة وكلام لغو ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . واذا كان الحق يرجع لاهلهِ في اوربا افلا يرجع لاهلهِ في الشرق يقول الله تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها)

وعليهِ فاني اوجه همم العلماء والفضلاء من امتنا ان يبينوا للناس اولاً ان اكثر الكشف منسوب كذباً للفرنجة ثانياً ان رقاص الساعة ودوران الارض والجاذبية كانت معروفة عند اسلافنا . ورجال المعارف الذين اشرف بالانتساب اليهم اولى بهذا التنبيه واحق بهِ واهلهِ

سادتي هل لكم ان اقص عليكم ثلاثة انباء في الاكتشاف نبأ عن المرحوم علي مبارك باشا بنفسهِ ونبآن عن استاذنا المرحوم الشيخ حسن الطويل . اما النبأ الاول فذلك هو بحيرة فكتوريا وذلك ان المرحوم علي مبارك باشا ناظر المعارف العمومية كان كثير العناية بطلبة دار العلوم لانهُ هو الذي اسس المدرسة وبينما كنت جالساً في الفصل وقد كان يمتحنني استاذي اسماعيل بك رأفت في الجغرافيا آخر السنة الاولى اذ دخل الوزير رحمة الله عليهِ فسألني عن منبع النيل فقلت بحيرة

فكتوريا فقال لم يكشفها العرب قلت كلاً قال بل كشفوها وعندي مساحتها بالطبة والدانق والقيراط في كتاب بخط اليد فقلت اذن لمَ يقال ان كاشفها الانجليز فقال امرونا فكتبنا . اما النبأ الثاني فذلك رسم المنحنيات قال لنا استاذنا المرحوم الشيخ حسن الطويل جلست مع وزير المعارف علي باشا مبارك فاخذ يذم القدماء من المهندسين المسلمين ويقول ان كتبهم عقيمة سقيمة فقلت لماذا فقال كانت عندي رسالة في فن رسم المنحنيات مخطوطة باليد ولما لم افهمها وجاءني رجل فرنسي واريتها لهُ طلبها فاعطيتها لهُ منذ عشرين سنة فارسل اليوم هذا الكتاب الضخم في رسم المنحنيات بالفرنسية فقال ان ما فيهِ هو مكبر ما في تلك الرسالة الصغيرة. فقال استاذنا الطويل يا باشا كانوا يؤلفون للمهندسين

اما النبأ الثالث فهو الكتابة بالفضة على الزجاج . كنا في سنتنا الاولى بدار العلوم حضر رجل فرنجي فكتب امامنا بالفضة على الزجاج مدعياً انهُ الكاشف لهُ وحضرنا جميعاً عمليتهُ فلما كان اليوم الثاني اخبرنا المرحوم استاذنا الشيخ حسن الطويل انهُ اخذ الشيخ محمد الابياري والاستاذ احمد بك الازهري واراهما ليلاً صاحباً لهُ مصرياً يعرف هذه الصناعة عن اجدادهِ ووصف لهم نفس العملية التي وصفها الفرنجي وقال انهُ كان في زمن شبابهِ يكسب منها اكثر من هذا الزمان الذي كسدت فيهِ هذه الصناعة وعند ذلك قال لنا شيخنا في الدرس كيف يأخذ هذا الرجل سبعين جنيهاً من الحكومة مكافأة على عملهِ وهو مبطل في دعواهُ وكيف تنطلي تلك الحيلة على وزير المعارف وكيف يجهل الوزير ان الصناعة في بلادهِ وكيف يجهل ذلك ناظر المدرسة ابرهيم بك مصطفى وهو ما اخذ الشهرة والبيكوية الا بعلم الكيمياء هذا

واني مستعد ان القي محاضرات عامة لطلبة المدارس العالية في علوم اسلافهم ألاَ وان في البلاد من يريدون ان يعدوكم عما كنزه لكم آباؤكم ولن يكون هذا الا وصمة في تاريخ بلادنا العزيزة المجيدة ولي اشد الرجاء من اخواني رجال المعارف ان يبينوا ما ظهر ان العرب كشفوهُ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

طنطاوي جوهري